المحاضرة رقم 06: مملكة سنغاي الإسلامية (777هـ – 1375 م / 10م – 16 م)

انبثقت سُنْغِي (صُنغي – صَنْغاي – سنغاي) إمارة صغيرة تابعة لمالي وسارت على نفس المنحنى الذي سارت عليه كل من غانة ومالي ، بحيث بدأت إمارة وثنية صغيرة ثم انفصلت وتطورت وأصبحت مملكة إسلامية مترامية الأطراف خلال قرنين من الزمن من القرن الثامن هجري إلى القرن العاشر هجري ، كانت فيه هذه المملكة أوسع مساحة وأوضح تاريخًا من بين ممالك السودان الغربي .

إمتدت علي ضفي نهر النيجر إلى شمال من الداهومي – البنين اليوم – عند مدينة داندي إلى فولتا داندي إلى فولتا العليا – بوركينا فاسو – شمال نيجيريا [1]

وقد كانت سنغاي قبل الإسلام تدين الوثنية منذ حوالي القرن السابع الميلادي تحت سلطة أسرة تدعى " **دايا** " حتى سنة 1325م متخذين كوكيا[2] عاصمةً لهم ، وقد نجدها في بعض الكتابات ب: ضيا(Dia) وهي إحدى القبائل البربرية التي هاجرت واستقرت هناك ، وأول ملك تولى الحكم فيها يسمى " ضيا العالمين " ، وإستقر في سنغاي مجموعتين من القبائل منهم الفلاحون ومنهم الصيادون وغالبًا ما كان الصيادون يُغيرون على الفلاحين ويسلبونهم أموالهم وأملاكهم حتى 700م أين هاجرت أحد القبائل البربرية البيض من لمتونة إلى الفلاحين وإستطاعوأن يخلصونهم من غزو الصيادين وكان أحدهم يسمى " زا الأيمن – أوزا اليمن " [3]

حيث تقول بعض الأساطير أنه إستطاع أن يقتل الحوت الذي كان يهدد القبيلة ومنذ ذلك الحين نصبوه ملكًا عليهم ، فصار الملك لأسرة " زا " ويقول السعدي في كتابه أنَّ أربعة عشرة ملكًا حكم سنغاي وثني بعدَ " زا اليمن " ، أمّا الملك الخامس عشر فقد أسلم ووحد بالله وكان إسمه " زاكوسي " وهو مؤسس مدينة " غاو" (Gao)

---

1 محمد فاضل علي باري ، سعيد إبراهيم كريدية ، المسلمون في غرب إفريقيا ، مرجع سابق، ص 110 .

2 هذة المدينة تقع على نهر النيجر على مسافة 100 ميل جنوب مدينة غلو ، ينظر : موريس دولافوس ، **سنغاي** ، دائرة المعارف الإسلامية ، تر: محمد ثابت الفندي وآخرون ، مج 12، مطبعة الإعتماد ، القاهرة ، 1933 ، ص 265 ، وقد ذكرت هذه المدينة عند كل من الخوارزمي في كتابه صورة الأرض و عند الإدريسي ينظر: **المغرب وأرض السودان و مصر والأندلس،جزء من نزهة المشتاق** مطبعة ليدل بريل لندن1968 ص 11

3 **زا الأيمن** : معناها جاء من اليمن ، يقول عنه عبد الرحمان السعدي أنّه جاء هو وأخوه سائرين في أرض الله حتى إنتهى بهما القدر إلى بلدة "كوكو" وعندما سألهم أهل المدينة من أين أنتما قال الأكبر جئنا من اليمن فنطقها أهل البلد " بزااليمن " ، ينظر : عبد الرحمان السعدي ، تاريخ السودان ، مصدر سابق ، ص 05

حوالي 400هـ /1010م ، والتي شرق الثنية الشمالية لنهر النيجر ، ويقال لهذا الملك المسلم " مسلم دان " أو " مسلم دام " (1)

وفي حدود سنة 736هـ / 1335م إنتقل الحكم في سنغاي إلى أسيرة " سُني " وحينها إستقل " علي كلن " عن مالي ، حيث تذكر بعض المصادر أنها فرع من فروع أسرة " ضيَاء " .

- **مملكة سنغاي علي عهد سُني علي (1464 – 1492 م)**

بعد التطورات التي عرفتها إمارة سنغاي علي مدى حكم مملكة مالي ودارت عجلة الزمان دورتها وأخذت مالي في طور الإنحدار ، وكان علي " كولون " أحد ورثة الحكم في إمارة سنغاي رهينة عند حكام مالي ، إستطاع الهرب من الحجز وإتجه إلى مدينة " غاو " وطرد منها حامية مالي إستقبله أهلها بكل حفاوة وتأييد ، فإستطاع إسترداد سنغاي [4] من قبضة مالي ، فلقب " علي كلن " بإسم "سني " وكان ذلك عام 1335م ولما أفل نجم مملكة مالي في القرن الثامن قويت شوكة "صنغاي" علي عهد حكم "محمد دغو" 823هـ / 1420م " وإنفصل نهائيًا عن سيطرة مالي .

ثم إنتقل الحكم من محمد دوغو " إلى إبنه"سُني علي" سنة 869هـ/1464م،والذي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة سنغاي لأنَّه ضَّم مناطق كثيرة ورد عنها كل الغزوات [5]

بدأت مملكة " سنغاي " في عهد التوسع علي حساب المناطق المجاورة ، فإستعاد مدينة " تنيكت – تمبكتو " عام 1468م، ، ثم مدينة جي عام 1473 إلى1475 م، ثم إلى منطقة " ياتنغا " [6]

ولقد اختلف كثيرًا من المؤرخين في صدق إسلامه خاصةً مؤرخي المنطقة كالمؤرخ عبد الرحمان السعدي الذي وصفه بالمتسلط الفاسق السفاك للدماء لأنه كان سريع الغضب يأمر بالقتل ثم يندم وهذا قول السعدي عنه : " إنه كان ذا قوة عظيمة فاسقًا معتديًا متسلطًا سفاكًا للدماء ، قتل من الخلق مالا يحصيه إلا الله ، وتسلط على العلماء و الصالحين بالقتل والإهانة و الإذلال "[7]

وقد اعترف السعدي بقوته و شجاعته في موطن آخر قائلاً : " إنَّه لم ينهزم قط رغم كثرة حروبه... "[8]

---

[4] دولافوس ، موريس ، " سنغاي " – المرجع السابق مج 12، ص2

2 محمد فاضل على باري ، سعيد إبراهيم كردية ، المرجع السابق ، ص 114

[6] – محمد فاضل على باري ، سعيد إبراهيم كردية ، المرجع السابق ، ص144

7 – عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص76

8 عبد الرحمان السعدي، نفسه، ص75

سنغاي على عهد أسرة الأسكيا (الأساقي) : 1493م إلى 1593م

بعد إنتهاء حكم " سني علي بير " لم ينته عصر التطور والإزدهار لحكم دولة سنغاي ، حيث أخذ زمام الأمور بعده أحد ضباطه الذي اعتبر من المستشارين المقربين ، حين وجد الضعف في شخصية وريثه "أبوبكر" حيث ساندوه حتى العلماء – ساندو الضابط محمد الكبير – لما رأو ضعف وفشل الحاكم أبو بكر خلال عام 1492-1493م ، فإنقلب عليه وسمَّى نفسه " بالأسكيا " [9]

وقد إستطاع الأسكيا محمد بذكائه وشجاعته وحنكته السياسية وحبه للعلم والعدل أن يبني صرحًا جديدًا لدولة سنغاي ، بحيث يعد أعظم ملوك سنغاي وهو الذي دعم الإسلام في البلاد ونشط الحركة العلمية والفقهية في السودان الغربي [10]

عمل على تنظيم البلاد إداريًا وعسكريًا ، فقسم المملكة إلى ولايات وكلّف على ولايته والي معتمد ، وهي كما يلي :

الولايات الأولى تقع جنوبًا وتمتد من مدينة " دندي " حتى بلاد الهوسا والولاية الثانية في الوسط شملت كل من غاو و تنبكت وأمّا الثالثة ففي الشمال تبدأ من غاو إلى بلاد الطوارق ثم الولاية الرابعة في الغرب فتشمل بلاد السودان الغربي . [11]

كما نظم الخزينة وجدّد إيراداتها ، إستولى على مناجم الملح في تغازة فجذب التجار من كل مكان ، من فاس ، توات ، تلمسان ، طرابلس ...

وقد أعاد لمدينة تنيكتو مكانتها الثقافية وقرب منه العلماء وجعلهم أهله وخاصته كالعالم التلمساني : محمد بن عبد الكريم المغيلي والذي استشاره في نازلة فقهية ليجبه العالم المغيلي بجواب سماه أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي" [12]مازالت تحتفظ بها خزائن موريتانيا و النيجر كشاهد لعصر الأسكيا في سنغاي

---

9 الأسكيا: يقال أنها كلمة تعني الغاضب أو الظالم ، ويذكر السعدي أنّ بنات سني علي "عندما سمعن بأمر إعتلائه علي العرش قالت : أسكيا بمعنى ليس هو ، فعزم القائد " محمد التورى"على إتخاذه لقبًا،السعدي ص72

10 عبد الرحمان ميغا ، **الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن 8 إلى القرن 13هـ** ، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ن 1432هـ / 2011م ، ص 20 و ص 21

11 - أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، مج 6 ،مرجع سابق، ص 279

2 -زهرة بوكرابيلة ، **البيوتات العلمية في إقليم توات مابين القرنين 7هـ – 11هـ / 13م – 17م** ، أطروحة دكتوراة علوم في التاريخ الوسيط ، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ، السنة الجامعية 2017- 2018 ،ص 259.

ومن مظاهر تشيعه بالدين الإسلامي وتعاليمه رحلته إلى الحج التي تركت صدى كبير في كتب المؤرخين وعلى مستوى دولته حيث بنى المساجد وإستقدم العلماء إليه كالعالم الجليل " جلال الدين السيوطي " فقال عنه محمود كعت " كان مهيبًا فصيحًا خليقًا للرئاسة كريمًا .... وسع الله عليه في دنياه وهو أول من إتخذ خزائن الكتب وله نساخ ينسخون له كتبًا وربما يهادي به العلماء ..."[13]

وبعد أكثر من 30 سنة من الحكم أصيب بالعمى فعزله إبنه عن الحكم ثم توالى خلفاء الأساقي علي الحكم بين الضعف والقوة إلى أن وصل الحكم إلى إسحاق الأول (1539 – 1549) ، فأعاد القوة للبلاد وردّ هجمات المغرب آنذاك ليخلفه أخوه داوود سنة 1549م الذي عين أنصاره في الوظائف المهمة وأوقف مدّ التيار السعدي بالمهادنة والتودد حتى سنة 993هـ / 1585م ، حيث حاول الحملة الأولى،ثم سنة 1593 نجح السعديون في الإطاحة بحكم الأسقيين في سنغاي وإنهاء حكم الأسقيا إسحاق الثاني فدخلوا تمبكت ثم العاصمة غاو بقيادة جؤدر باشا الذي عينه السلطان أحمد المنصور السعدي الذي إستولى على بلاد السودان الغربي وحاول إنتزاع البيعة من حكام بلاد كانم بورتو لينتهي عهد الأسقين على بلاد السودان[14] .

3- محمود كعت ، مصدر سابق ، ص62

14 عبد الرحمان محمد ميغا ، **الحركة الفقهية و رجالها في السودان الغربي من القرن 8إلى القرن 13الهجري**، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1432هـ/2011م، صص21،22 .